مقدمة التحقيق

الحمد لله العلى شأنه، الجلى برهانه، القوى سلطانه، الحمد لله الذى خلق الإنسان علمه البيان، وخلق له السمع والبصر والقوى والجوارح والبنان وشَّرفه بمعرفته وأهَّله لخدمته، وفضَّله على سائر الحيوان، واختصه بالنهى والأمر، والوزر والأجر، والطاعة والعصيان، ومنحه الحلم والحزم، والفكر والفهم، والذكر والعلم، وأهله للنظر والاستدلال، والارتقاء فى مدارج الكمال، الحمد لله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن بكمال قدرته، وجعل الأمر يتنزل بينهن ببالغ حكمته، واحد أحد فرد صمد منزه عن الأشباه والأمثال، متصف بصفات الجلال، أزلى، أبدى، توحد بالقدم والبقاء، وقضى على ما عداه بالعدم والفناء، قدر الأرزاق والآجال فى الأزل، ثم بعث إليهم الأنبياء والرسل، مصدقاً لهم بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، ليدعوهم إلى تنزيهه وتوحيده، ويأمرهم بمعرفته وتعظيمه وتمجيده، ويبلغوا أحكامه إليهم مبشرين ومنذرين بوعده ووعيده، فأقام بهم الحجة، وأوضح المحجة.

ثم ختمهم بأجلهم قدراً، وأتمهم بدراً، وأشرفهم نسباً، وأزكاهم مغرساً، وأطيبهم منبتاً، وأكرمهم محتداً، وأقومهم ديناً، وأوسطهم ملة: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم – صلى الله عليه وسلم – وأنزل معه كتاباً عربياً مبيناً، فأكمل لعباده دينهم، وأتم عليهم نعمته، ورضى لهم الإسلام ديناً.

سبحانه من إله خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا، وأعطى ومنع وخفض ورفع وأتم الدين وأعلن البرهان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد له ولا ند له ولا وزير ولا مشير ولا أعوان، بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد فهو القادر المقتدر الحكيم الديان تعالى وتقدس عن كل مبطل كذاب ومشرك يعدل به غيره من الآلهة المخلوقين والأرباب المكذوبين: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

سبحانه وتعالى هو القائل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

وهو القائل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وأشهد أن محمداً[4] عبده ورسوله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده، ابتعثه الله بخير ملة وأحسن شرعة وأظهر دلالة وأوضح حجة وأبين برهان إلى جميع العالمين، إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، حاضرهم وباديهم، الذى بشرت به الكتب السالفة وأخبرت به الرسل الماضية، وجرى ذكره فى الأعصار فى القرى والأمصار والأمم الخالية.. ضربت لنبوته البشائر من عهد آدم أبى البشر إلى عهد المسيح بن البشر.

---

١ - المؤمنون: ٩١-٩٢

٢ - الأعراف ١٥٧

٣ - البقرة ١٤٦

٤ -هو خاتم الأنبياء والمرسلين: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى، ينتهى نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام، ولد فى مكة عام الفيل سنة ٥٣ ق.هـ/ ٥٧٠م، بُلغ بالنبوة سنة ١٣ق.هـ/ ٦١٠م، وكان عمره ٤٠ سنة قمرية، وتوفى فى ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ/ ٦٣٣م، وكان عمره ٦٣سنة قمرية. (الأعلام ٦: ٢١٨)

إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى سبل الرشاد، وأنزل معهم الكتب، وأمرهم أن يعملوا بها، وأن يعلموا قومهم ليعملوا بمثل عملهم، وقد أورد الله تعالى فى كتابه الكريم قصص الأنبياء، وبين مواضع العظة والعبرة من حياتهم، وقال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[1].

وقد عرّفنا رب العزة سبحانه أنه قد أيد الأنبياء والمرسلين بالآيات البينات والمعجزات الباهرات، فمن ذلك أن أيد نوحاً عليه السلام بالطوفان، وأيد صالحاً عليه السلام بالناقة، وأيد إبراهيم عليه السلام بالنار وكانت برداً وسلاماً، وأيد موسى عليه السلام بالعصا فى تسع آيات مفصلات، وأيد داود[2] عليه السلام فألان له الحديد وأيد سليمان عليه السلام بأن علمه منطق الطير وسخر له الجن وسخر له الريح، وأيد عيسى عليه السلام بأن أبرأ له الأكمه والأبرص، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فتصير طيراً بإذن الله، وأن يحى الموتى بإذن الله، وأيد محمداً صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة منها القرآن الكريم.

فهل بقيت معجزة نبى من الأنبياء سوى القرآن الكريم؟؟ وذلك لأن الرسالة الخاتمة يناسبها المعجزة الباقية، وأن تكون المعجزة الباقية هى التى تحمل الهداية والإرشاد والبيان، فكانت معجزة القرآن الكريم باقية إلى أن تقوم الساعة.

لقد نقل القرطبي[3] فى تفسيره[4] عن كعب الأحبار[5] فى صفة رسول الله صلى

---

١ - الأنعام ٩٠

٢ - داوُد أو داود أو داؤود: معناه "محبوب"، هو ثانى ملك على مملكة إسرائيل المتحدة (١٠١١ ق.م. - ٩٧١ ق.م.) وأحد أنبياء بنى إسرائيل. ويُعتبر أحق وأنزه ملك من بين ملوك إسرائيل التاريخيين، وهو صاحب مزامير داود الشهيرة

٣ - القرطبى (؟ ـ ٦٧١ هـ) هو محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح. أندلسى من أهل قرطبة أنصارى. من كبار المفسرين. اشتهر بالصلاح والتعبد. رحل إلى المشرق واستقر بمنية ابن الخصيب (شمالى أسيوط ـ بمصر) وبها توفى. من تصانيفه: ((الجامع لأحكام القرآن)) ؛ و((التذكرة بأمور الآخرة))؛ و((الأنسى فى شرح الأسماء الحسنى)) [الديباج المذهب ص ٣١٧ ؛ والأعلام للزركلى ٦/ ٢١٨].

٤ - تفسير القرطبى هو كتاب عظيم جمع تفسير القرآن كاملاً واسمه الكامل (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان). وهو تفسير جامع لآيات القرآن جميعًا ولكنه يركز بصورة شاملة على آيات الأحكام فى القرآن الكريم. الكتاب من أفضل كُتب التفسير التى عُنيت بالأحكام.وهو فريد فى بابه.

٥ - كعب بن ماتع الحميرى، أبو إسحاق، أسلم فى خلافة عمر، مخضرم كان من أهل اليمن، فسكن الشام، مات فى آخر خلافة عثمان.

الله عليه وسلم ما نصه: "والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا، وحرزا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر. ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا".[1]

ولكن أين هذه الأوصاف من النصوص المقدسة، مثل توراة موسى وإنجيل عيسى عليه السلام؟ وأهل الكتاب من يهود ونصارى مقرون بوجود هذه البشارات، ومقرون بدلالتها على النبى الخاتم، لكنهم يصرون على أنه رجل من بنى إسرائيل، حيث يزعم النصارى أنه عيسى عليه السلام، بينما ما زال اليهود ينتظرونه، ويرى المسلمون أن هذا النبى المنتظر هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد حوى الكتاب المقدس الكثير من النبوءات المبشرة بالنبى الخاتم، ومع ذلك نجد القمص مرقس عزيز خليل، كاهن الكنيسة المعلقة يقول:

(لقد احتفظ لنا الكتاب المقدس بين صفحاته بالعديد من النبوات وقد تحقق الجزء الأكبر منها والباقى فى سبيله للتحقيق مثل علامات الساعة. فلو كان اسم رسول الإسلام قد ذكر بين صفحاته لما حذفه أحد بل كان يعتبره فى هذه الحالة كنبوة وعند مجيئه تصير النبوة حقيقة ولكن الحقيقة كانت شيء آخر. حيث لم نجد بالكتاب المقدس أى إشارة أو تلميحاً عن رسول الإسلام وبذلك يكون هذا الادعاء بالتحريف ادعاءا باطلاً لا أساس له)[2]

وهنا تتجلى آيات القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[3].

ويقول القمص مرقس عزيز فى نفس الكتاب: (هناك سؤال يطرح نفسه: لماذا

---

١ - القرطبى فى الأعراف ١٥٧

٢- مرقس عزيز خليل: استحالة تحريف الكتاب المقدس، صـ٣٣٥

٣ - الرعد: ٤٣

يسعى بعض الكتاب لإثبات نبوات عن رسول الإسلام من الكتاب المقدس فى الوقت الذى يهاجمون فيه الكتاب المقدس ويتهمونه بالتحريف؟ ولماذا لم يتهموه بالتحريف فى هذه الآيات التى يتصورون خطئاً أنها تشير إلى رسول الإسلام).[1]

ونحن نقول: إن تصريح القرآن بالتحريف هو فى البعض وليس فى الكل، لأن القرآن يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2]

فكلمة نصيباً نكرة تفيد أى قدر محدود من الكتاب، ولفظ من للتبعيض، والمعنى: أوتوا قدراً محدوداً من الكتاب وليس الكتاب كله.

ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[3]

فلم يقل نسوا كل ما ذكرناهم به، بل قال: حظاً، أى تركوا نصيباً جزيلاً وقسطاً وافراً من كل ما ذكرناهم به. وهذا الجزء الصالح للاحتجاج به من التوراة والإنجيل محكوم بتصديق القرآن لها؛ لأن القرآن الكريم مهيمن على ما سبق من كتب الأنبياء. وعلى ذلك فإن استشهادنا بالكتب السابقة ليس تزكية لها إنما هو بحث عن القليل من أثار النبوة فى سطورها، هذا القليل نؤمن به ولا نكذبه، إذ هو مصدق لما بين أيدينا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم". وقال صلى الله عليه وسلم مثبتاً وجود حق فى هذه الكتب: "لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به".[4]

والله المستعان

المحققان،،،

---

١ - مرقس عزيز. ص ٣٤٠

٢ - آل عمران٢٣

٣ - المائدة ١٤

٤ - رواه أحمد فى المسند٣: ٣٨٧

مؤلف الكتاب:

هو الإمام الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الإمام السبط الحسن بن الإمام على رضى الله عنهم - ولد سنة ٣٣٣هـ.

قال صاحب الحدائق الوردية إن الإمام المؤيد بالله كان إماماً فوضح له الحق فانقاد له أحسن انقياد فقد كان وحيد عصره، وفريد دهره، جمع العلوم وحفظها، وقد أخذ عن معاصريه من أهل البيت فقه الزيدية، وممن أخذ منهم السيد أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط، كما أخذ عن أبى الحسين على بن إدريس وقرأ عليه فقه الزيدية والحنفية.

ولهذا فقد أخذ جميع العلوم وفاض من أنوار علمه الكثير من المؤلفات التى ما تزال متداولة إلى عصرنا هذا.

وأول دعوة له كانت عام ٣٨٠هـ أيام الخليفة العباسى الملقب القادر (٣٨١-٤٢٢هـ) والذى كان كسلفه محتقراً من حكام الدولة البويهية، وكان للإمام دعوة أخرى متأخرة عن هذا التاريخ فى أيام الصاحب بن عباد، وقد بايعه أهل الجيل والديلم واستولى على هوسم، ثم امتد إلى الرى ومدينة آمل، وبسبب توافد الناصرين له وبذل أموالهم وأنفسهم فقد امتدت ولايته إلى الجيل وطبرستان فاستقام له الأمر، وكانت بينه وبين ملوك الديلم وجنود العباسية وقعات كثيرة كان النصر له، وأثبت فيها شجاعته.

وقد ناصره وبايعه كثير من علماء عصره منهم قاضى القضاه (عبد الجبار بن أحمد

بن عبد الجبار الهمداني) والذى كان شيخ المعتزلة فى عصره، والصاحب بن عباد، وكذا من أهل البيت الكثير منهم الإمام مانكديم.

استقام له الأمر وكان مثالاً نادراً فى زهده وحلمه وتواضعه فقد كان يحمل حاجياته من السوق بنفسه ولا يجيز لنفسه ولا لأولاده أن يحمل حاجياته فى دواب بيت المال إلا بأجر، وكان كثير الورع والتقشف، متصوفاً زاهداً، يجالس الفقراء والمساكين، يرد الهدايا والوصايا إلى بيت المال، وكان يتولى بنفسه حراسة بيت المال ويقسم بيده الأموال للجند، وكان يرفع من شأن العلماء والصالحين وهو مع كل هذا ومع تفرغه لحل قضايا المتظلمين فقد كان غزير الدمعة كثير البكاء، دائم الفكر، كثير العبادة إلى أن توفى فى ٩ ذى الحجة ٤١١هـ

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة فى الأصول والفروع منها:

أولاً: فى علوم القرآن

كتاب يبين فيه إعجاز القرآن - طبع بعنوان (إثبات نبوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم) تحقيق خليل أحمد الحاج.

ثانياً: فى أصول وعلم الكلام

- كتاب (الآداب فى علم الكلام.
- كتاب التبصرة
- كتاب النقض على ابن قبة جميعها مخطوطة.

ثالثاً: فى الفقه

- كتاب (شرح التجريد (تم تصويره من نسخ مخطوطة ونشرت أربعة أجزاء منه بهيئتها فى مجلدين، وهو شرح لفتاوى الإمام القاسم والإمام الهادى، وهو من أجل معتمدات أهل البيت فى الفقه).
- كتاب البُلغة

- كتاب الإفادة
- كتاب الزيادات
- كتاب التفريعات وتولى جمعها أبو القاسم بن تال.
- كتاب الهوسميات.
- كتاب (الأمالى الصغيرة). جميعها ما يزال مخطوط لم تطبع ولم تحقق، عدا الأخير منها.

رابعاً: فى الزهد

- كتاب (سياسية المريدين) أورد جزء من مقدمته صاحب الحدائق الوردية ص ٧٨ج٢. وهو مخطوط صورة منه فى مركز بدر العلمى بصنعاء.

الكتاب:

ويعتبر كتاب إثبات نبوة النبى من أهم الكتب التى تعرضت لإثبات نبوة النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – وهى سلسلة مؤلفات تناولت النبوة والدفاع عن الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – ضمن شبهات حاول الكثير من المغرضين نفى صفة النبوة الشريفة عنه مدعين جملة من الأباطيل التى تؤكد على حد زعمهم أن محمد – صلى الله عليه وسلم – لم يكن نبياً بل هو على أفضل أحوالهم مجرد مصلح اجتماعى ولم ينزل عليه الوحى بل كان مجرد اجتهاد بشرى، والكتاب الذى بين أيدينا يفند الكثير من هذه المزاعم وهو ما سيتضح لاحقاً فى متن الكتاب وتحقيقه.

وقد اعتمدنا فى تحقيق هذا الكتاب على النسخة الميكروفيلمية الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٦٧ والمصنفة تحت بند (علم الكلام) وقد كُتبت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة من الهجرة.

منهجنا فى التحقيق:

وكان منهجنا فى التحقيق يقوم على: ضبط النص وتقويمه، والتعريف بأعلامه وتحديد مواضعه، وشرح الغريب من ألفاظه، وعرضا للوقائع التاريخية التى ذكرها حتى تتم الفائدة للقارئ وفندنا ما اعتسف المؤلف تأويله وخاصة وأنه ينتمى

للطائفة الزيدية التى نشأت فى أوائل العصر العباسى فى القرن الثانى الهجرى وسميت بالزيدية نسبة إلى الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وهم أحد الفرق الإسلامية وأقرب المذاهب إلى أهل السنة.ورغم ذلك وجدناه يلعن معاوية - رضى الله عنه - وأبنائه فقمنا بمناقشة هذا الهجوم بموضوعية وحياد معتمدين على السنة المطهرة وأخبار السلف الصالح

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أنور محمود زناتى – محمد غالب على بركات.

Anwer_zanaty@mail.com

Mohamed_barakat45@yahoo.com

مقدمة الكتاب

الحمد لله ذى الفضل والإحسان، المخول من شاء من عباده سوابغ الأنعام، الذى هدانا لدينه، وأوضح سواء السبيل، بما نصب من أدلته الباهرة، وحجته القاهرة: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

ثم أرسل إلينا خير مولود، وأكرم مبعوث: رحمة للعالمين، للمتقين: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢). فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

وأنى لما رأيت غُثاء الملحدة ورعاعها، مجتهدة لإدخال الشبه فى معجزات نبينا – صلى الله عليه وسلم – على أنفسنا – وعلى من قادته يد الشقاء، وسلكت به خبط العشواء، من جهال العوام وأوباشها – فهم عن الحق اليقين معرضون، وعن الصراط السوى ناكبون، قد استهواهم الشيطان، واستزلهم الطغيان: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٣) يظنون بجهلهم وعماهم، أنهم قد فطنوا لما جهله العلماء، واستدركوا ما فات أهل الدين، وتنبهوا عما غبى عنه فضلاء المسلمين.

---

١ - الأنفال: ٤٢

٢ - يس: ٧٠

٣ - الحشر: ١٩

كلا. بل هم صم عن الحق، لا يسمعون. وبكم عند المحاج لا ينطقون. وعمى عن الرشاد لا يبصرون: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1] فإن أرذلهم طبقة، وأحسنهم طريقة، وأقلهم شبهة، وأعتاهم على الله عز وجل، وعلى رسوله صلى الله عليه، وأعداهم للمسلمين، وأحرصهم على التحيل لإطفاء نور الله المبين: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2]. من ينتسب منهم إلى الباطن ويوهم أن وراء ما فى أيد المسلمين من حجج العقول والكتاب والسنة حقيقة عرفوها وحصلوها، وأنها ممنوعة أو مستورة، إلا عمن بذل لهم العهود والمواثيق، فإذا كشفتها وجدت مخازى، تلوح عن صفحاتها أثر الاستهزاء بمن يأخذ عنهم، ويلوذ بهم، يعدونهم حمرا مستنفرة، قد زينوا عندهم ارتكاب الفواحش، وأباحوا لهم قطوف المظالم، وأحلوا لهم شرب الخمر، وترك الصلوات، ومنع الزكوات: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3]

ينفون الصانع، وينكرون النبوات أجمع، ويجحدون الشرائع، فيقولون: "لا يقال فى الله تعالى: موجود، ولا لا موجود".

لا يعلمون لجهلهم، وفرط غباوتهم: أن نفى النفى يقتضى الإثبات، عند أهل اللسان، ألا ترى أنهم أن أرادوا أن يحققوا الإثبات قالوا: " لا غير " فيقولون: " هو الرأى لا غير، وهو (زيد) لا غير ". فيجمعون بين النفيين لتحقيق الإثبات، فإذا قالوا: موجود. فقد حققوا: أنه موجود، وإذا قالوا لا موجود، فقد نفوا ما أثبتوا ونقضوا ما قالوا. وليس ذلك مما يخفى.

لكن غرضهم فى ذلك: هو التوصل إلى التعطيل، ونفى الصانع. ويقولون:

---

١ - المطففين: ١٤

٢ - التوبة: ٣٢

٣ - المائدة: ٧٧

" أن النبى محمدا – صلى الله عليه – إنما كان له التأييد، دون ما سواه من الوحي[1] والإرسال، ونزول جبريل[2] عليه السلام ".

ويشيرون بالتأييد إلى المزية التى تحصل لكل من تقدم فى صناعة، وبرع فيها، من شاعر، أو طبيب، أو فقيه، أو متكلم، أو منجم. ويسمون الشرائع: نواميس، ويتوصلون إلى جحدها وإبطالها بإدعاء: أن لكل شئ منها باطنا إذا عرف سقط وجوب العمل به. وينكرون البعث والنشور، ويقولون: معنى القيامة: هو قيام محمد بن إسماعيل ابن جعفر[3] وخروجه.

---

١ - وردت كلمة الوحى فى آيات عديدة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٥] ويقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١] ويقول عز من قائل: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ١-٤]. والوحى يعنى فى أحد معانيه الإلهام الفطرى عند الإنسان، والغريزى عند الحيوان، كما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨] فالإلهام الفطرى وصوت الضمير لدى الإنسان هو نوع من الوحى يختلف عن الوحى إلى الرسل. وكما أن للإنسان نفس تميل إلى الهوى، وحوله شياطين توسوس له بالشر، فإن لديه العقل والقلب والضمير، وحوله ملائكة توحى إليه بالخير.

٢ - جبريل هو حامل الوحى إلى الأنبياء، وهو الذى بلغ محمداً – صلى الله عليه وسلم – بالنبوة عندما كان فى غار حراء، وكان ينزل عليه بالقرآن الكريم طيلة مدة البعثة، وأحياناً يتمثل له بهيئة رجل ويراه الصحابة، ورد ذكره فى القرآن الكريم بعدة أسماء: فابسم جبريل ثلاث مرات، وباسم روح القدس أربع مرات، وباسم الروح الأمين مرة واحدة، وهو الوارد ذكره فى قصة تبشير مريم بعيسى بلفظ (روحنا) ثلاث مرات، وله نعوت منها: جبريل الأمين، وأمين الوحى، والناموس الأكبر، وطاووس الملائكة، وهو – حاشاه الله – الأقنوم الثالث من الثالوث الإلهى عند النصارى، فهو مشارك للآب والإبن (عيسى) فى الألهية، ويوجبون له جميع الصفات الإلهية كالعلم والخلق والتأثير فى الكون واستحقاق العبادة. (القاموس الإسلامى ١ : ٥٧٦، قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٤).

٣ - هو محمد إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ويعتقد الشيعة الإسماعيليون أن الإمامة فى نسله هو -حيث يعتقدون أنه لم يمت وإنما قام جعفر الصادق بإقامة جنازة وهمية له حتى يبعد نظر العباسيين عنه- ويقولون أنه استطاع أن يفر ويقيم لنفسه دعوة فى الستر. وبالتالى يرون أن الإمامة ليست فى نسل موسى الكاظم وساقوا الإمامة إلى ولد إسماعيل محمد بن إسماعيل الملقب بالمكتوم بعد وفاة جعفر الصادق

ولولا أنه ليس غرضنا فى كتابنا هذا: وصف أقوالهم، ونشر فضائحهم، وبسط مقابحهم من فساد عقائدهم، ومساوئ دفائنهم مما بينه شيوخنا رحمهم الله – من الأشراف والعلماء فى كتبهم المصنفة، فى هتك أستارهم، وإذاعة أسرارهم، نحو أبى زيد عيسى ابن محمد العلوى الحسينى، وابن جعفر بن قنة الرازى، وأبى عبد الله ابن درام الكوفى، وأبى أحمد بن عبدك الجرجانى، وغيرهم – رحمة الله عليهم.

ثم ذكرت ما فى رسالتهم الموسومة بـ (البلاغ السابع)[1] وربما سموها: (البلاغ الأكبر، والناموس الأعظم) لكنى أحيل من أراد الوقوف على باطنهم وسرائرهم على هذه الكتب فإنها مشهورة معروفة معروضة لمن أرادها.

وارجع إلى الغرض الذى قصدته: وهو أنى – رأيت أن أضع كتابا فى الإبانة عن معجزات نبينا صلى الله عليه، وما أيده الله تعالى به من الآيات البينات، والدلائل الواضحات، التى لا يذهب عنها من نصح نفسه، ولم يتلعب بدينه، مستعينا بالله تعالى، ومستهديا له، وراغبا إليه تبارك وتعالى: أن يعظم النفع لنا به، والمثوبة عليه، وأن يجعل سعيى فيه، وكدحى له، خالصا لوجهه.

هذا، ولست أطمع أن أزيد على ما قاله السلف – رحمهم الله – فى هذا الباب. وإنما أوجز من كلامهم – رحمة الله عليهم – ما جعله البسط متباعد الأطراف، وأبسط ما جعله الإيجاز خفى الأغراض.

---

١ – ولهم البلاغات السبعة وهى كتاب البلاغ الأول للعامة كتاب البلاغ الثانى لفوق هؤلاء قليلاً كتاب البلاغ الثالث لمن دخل فى المذهب سنة كتاب البلاغ الرابع لمن دخل فى المذهب سنتين كتاب البلاغ الخامس لمن دخل فى المذهب ثلاث سنين كتاب البلاغ السادس لمن دخل فى المذهب أربع سنين كتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر قال محمد بن إسحاق قد قرأته فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها ومنذ نحو عشرين سنة تناقص أمر المذهب وقل الدعاة فيه حتى إنى لا أرى من الكتب المصنفة فيه شيئاً بعد أن كان فى أيام معز الدولة فى أوله ظاهراً شائعاً ذائعاً والدعاة منبثون فى كل صقع وناحية هذا ما أعلمه فى هذه البلاد وقد يجوز أن يكون الأمر على حاله بنواحى الجبل وخراسان فأما ببلاد مصر فالأمر مشتبه وليس يظهر من صاحب الأمر المتملك على الموضع شيء يدل على ما كان يحكى من جهته وجهة آبائه والأمر غير هذا والسلام ومن المصنفين النسفى الذى تقد ذكره وله من الكتب كتاب عنوان الدين كتاب أصول الشرع كتاب الدعوة المنجية.

وأنتم – رحمكم الله – إذا تأملتم أحوال الفترات التى كانت بين آدم[1] ونوح وإبراهيم وموسي[2] وعيسى ومحمد – صلوات الله عليهم – ازددتم معرفة بحسن تدبير الله تعالى لخلقه فى ابتعاث الرسل، وتجديد ما درس – أو كاد يدرس – من الشرائع والملل، وأنه – جل وعز – ابتعث حين علم الصلاح فى الابتعاث، ومد الفترة حين علم اقتران المصلحة بها، لأن الفترة – على ما يقوله بعض أهل التواريخ، على اختلاف بينهم فيه، والله أعلم بتحقيق ذلك – كانت بين آدم ونوح – صلى الله عليهما – سبع مائة عام.

وإنما كان كذلك – والله أعلم – وإنما نقول على مقدار ما يلوح لنا، ويبلغه مقدار أفهامنا – أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض – وهو أبو البشر وأول الإنس – ولم يكن فى زمانه شئ من الكفر، ولا عبادة الأصنام، ولم يكن غيره وغير زوجته حواء أولادهما- عليهم السلام- وكانوا يعرفون حاله فلم يكن فى أمره شك عندهم بوضوح أمره وظهور ديانته وقلة من بعث إليهم فامتد زمان الفترة. وكان بينهما –

---

١ - هو أبو البشر وأول الأنبياء، خلقه الله من تراب من غير أب ولا أم، وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس أبى استكباراً، فلعنه الله وتوعده بالعذاب وأمهله إلى يوم الدين، ثم أغوى إبليس آدم بالأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها، فأهبطه إلى الأرض للقيام بوظيفة الخلافة وتاب عليه، ويعتقد أهل الكتاب أن الشجرة التى أكل منها آدم هى شجرة معرفة الخير والشر، كما يعتقد النصارى أن خطيئة آدم سرت فى كل ذريته، فاضطر المسيح بوصفه إبناً لله وأحد الأقانيم الثلاثة الإلهية عندهم أن ينزل إلى الأرض ليصلبه اليهود كفارة عن خطايا البشر، وقد أبطل القرآن الكريم كلا الاعتقادين، ووردت قصة آدم فيه فى عدة سور، كما ورد اسمه ٢٥ مرة فى القرآن الكريم. وحسبما جاء فى سفر التكوين فى الإصحاح الخامس أن آدم عاش ٩٣٠ سنة (القاموس الإسلامى ١: ٥٦، قاموس الكتاب المقدس: ٣).

٢ - موسى: هو النبى الرسول موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام، كلمه الله وأرسله إلى فرعون مصر منفتاح (مرنبتاح) ابن رعمسيس (رمسيس) الثانى ورابع فراعنة الأسرة التاسعة عشرة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد لإخراج قومه بنى إسرائيل. وقد وردت قصة موسى فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وورد اسمه فيه ١٣٦ مرة، توفى موسى فى آخر سنوات التيه فى صحراء سيناء وبعد موت أخيه هارون عليهما السلام، ودفن فى أرض مؤاب جنوب الأردن وكان عمره ١٢٠ سنة (البداية والنهاية ١: ٣٤٤، قاموس الكتاب المقدس ٩٣٠).

صلى الله عليهما – مع ذلك: شيث[1]، وإدريس[2] – عليهما السلام – فاستحدث الناس الكفر، وعبادة الأصنام واتخذوا: ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا[3].

فابتعث الله سبحانه نوحا – صلى الله عليه – يدعوهم إلى التوحيد، وخلع الأصنام، والأنداد، ولبث فيهم كما قال تعالى: ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[4] فغرقهم الله تعالى بالطوفان حين علم أنهم لا يصلحون، ونجا نوحا – صلى الله عليه – ومن معه.

ثم كانت الفترة بين نوح وإبراهيم – صلى الله عليهما – على ما يقوله المؤرخون نحو سبعمائة عام، وإنما كانت هذه المدة نحو تلك، لأن الغرق أعاد حال نوح إلى نحو حال آدم – صلى الله عليهما – وظهور أمره، وابتداء البشر منهم، مع أنه لم يكن بقى من الكفار أحد، إلا أن الناس كانوا قد عرفوا عبادة الأصنام، واتخاذ الأنداد من دون الله عز وجل، فأسرعوا بعده فى الكفر، وعبادة الأصنام.

وكان الله تعالى قد بعث هودا إلى عاد لما ازداد تمردهم وصالحا – صلى الله عليهما – بعده إلى ثمود.

---

١ – هو شيث بن آدم عليه السلام، وُلد بعد مقتل أخيه هابيل، وكان عمر أبيه آدم ١٣٠ سنة، وعاش شيث ٩١٢ سنة (قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣١).

٢ – إدريس عليه السلام هو أحد الرسل الكرام الذين أخبر الله تعالى عنهم فى كتابة العزيز، وذكره فى بضعة مواطن من سور القرآن، وهو ممن يجب الإيمان بهم تفصيلاً أى يجب اعتقاد نبوته ورسالته على سبيل القطع والجزم لأن القرآن قد ذكره باسمه وحدث عن شخصه فوصفه بالنبوة والصديقية.

٣ – ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]. (وقالوا: لا تذرن آلهتكم).. بهذه الإضافة: (آلهتكم) لإثارة النخوة الكاذبة والحمية الآثمة فى قلوبهم. وخصصوا من هذه الأصنام أكبرها شأنا فخصوها بالذكر ليهيج ذكرها فى قلوب العامة المضللين الحمية والاعتزاز.. (ولا تذرن ودا، ولا سواعا، ولا يغوث، ويعوق، ونسرا). وهى أكبر آلهتهم التى ظلت تعبد فى الجاهليات بعدهم إلى عهد الرسالة المحمدية. وهكذا تلك القيادات الضالة المضللة تقيم أصناما، تختلف أسماؤها وأشكالها، وفق النعرة السائدة فى كل جاهلية ؛ وتجمع حواليها الأتباع، وتهيج فى قلوبهم الحمية لهذه الأصنام، كى توجههم من هذا الخطام إلى حيث تشاء، وتبقيهم على الضلال الذى يكفل لها الطاعة والانقياد: (وقد أضلوا كثيرا) ككل قيادة ضالة تجمع الناس حول الأصنام.. أصنام الأحجار. وأصنام الأشخاص. وأصنام الأفكار.. سواء !! للصد عن دعوة الله، وتوجيه القلوب بعيدا عن الدعاة، بالمكر الكبار، والكيد والإصرار ! (انظر: سيد قطب، فى ظلال القرآن).

٤ – العنكبوت: ١٤

ثم لما ازداد الكفر ظهورا وانتشارا – ابتعث الله عز وجل إبراهيم[1] – صلى الله عليه – فدعاهم إلى الله تعالى، وكسر أصنامهم، ونبههم على خطأ أفعالهم، وجدد لهم الذكرى، وأنزل الله عز وجل عليه الصحف.

وبعث لوطا – صلى الله عليه – إلى قوم مخصوصين، حين ازداد عتوهم، واستحدثوا من الفاحشة ما لم يكن قبلهم.

ثم كانت الفترة بينه وبين موسى – صلى الله عليهما – نحو أربعمائة سنة، وإنما كانت كذلك – والله أعلم – لأن إبراهيم – صلى الله عليه – مضى والكفر باق بينهم –، ظاهر، ولم يكثر أتباعه الكثرة الظاهرة – على ما بلغنا.

وبعث الله تعالى بعده: إسماعيل[2] واسحق[3] ويعقوب[4] والأسباط وشعيبا –

---

١ – هو إبراهيم بن تارح بن ناحور، ينتهى نسبه عند الجد الثامن إلى سام بن نوح عليه السلام، ولد فى بلدة أور من بلاد بابل قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام بحوالى ١٩٠٠ سنة، وقد ولد له فى شيخوخته إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة، عاونه إبنه إسماعيل فى بناء الكعبة، وقد ورد اسم إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم ٦٩ مرة، ويذكر فى التوراة (العهد القديم) باسم أبرام، مات فى فلسطين ودفن فى مدينة الخليل (حبرون)، (القاموس الإسلامى ١: ١٢، قاموس الكتاب المقدس ص ٩).

٢ – هو النبى ابن النبى إسماعيل بن إبراهيم بن تارح (آزر) من نسل سام بن نوح، وأمه هاجر المصرية، وهو الإبن الأكبر لأبيه، فقد ولد وعمر إبراهيم ٨٦ سنة، فأخذه أبوه مع أمه وأسكنهما فى مكة حوالى سنة ٢٧٩٣ ق.هـ وفى إحدى زيارات إبراهيم لهما فى مكة امتحنه الله بذبح إسماعيل، فاستجابا دون تردد، ولكن الله فداه بكبش عظيم وأمرهما ببناء الكعبة فبنياها، وقد تزوج إسماعيل امرأة من جرهم الثانية من قحطان فولدت له اثنى عشر ذكراً هم آباء القبائل العربية، ومنهم قيدار جد عدنان، ولذلك يعتبر إسماعيل رأس السلالة العربية الثالثة المعروفة بالمستعربة، فقد اصطلح النسابون على جعل العرب ثلاثة أقسام، فالعرب البائدة كعاد وثمود وجرهم الأولى، والعرب العاربة وهم عرب اليمن من ولد قحطان فهم القحطانيون، والعرب المستعربة وهم نسل إسماعيل بن إبراهيم وسكنوا فى شمال الجزيرة، وقد توفى إسماعيل بمكة وعمره ١٣٠سنة وقد ورد اسمه فى القرآن الكريم ١٢ مرة. (الأعلام ١/ ٣٠٧، وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٠)

٣ – هو النبى بن النبى إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، رُزق لوالديه فى شيخوختهما بعد أن جاوزا التسعين منت عمرهما، وهو أصغر من أخيه إسماعيل، توفى وعمره ١٢٨ سنة، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم ١٧ مرة، وليس فى شيء منها إشارة إلى أنه الذبيح، بل يفهم من آيات القرآن الكريم أن الذبيح هو أخوه إسماعيل عليهم السلام. (البداية والنهاية ١/ ١٧٥)

٤ – هو النبى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ويطلق عليه إسرائيل وهى كلمة عبرية مكونة من مقطعين: اسرا بمعنى عبد، وايل: بمعنى إله أو الله، أى عبد الله، وكان له اثنا عشر ابناً ليس فيهم نبى غير يوسف عليه السلام، وهم: رأوبين، شمعون، لاوى، يهوذا، يساكر، زبولون،

صلوات الله عليهم – قبل مبعث موسى – صلى الله عليه – وقيل: أن أيوب – صلى الله عليه – كان قد بعث قبل موسى.

فتغيرت أحوال بنى إسرائيل وقل قبول الناس للحق وظهر الكفر، وبلغ مبلغا لم يكن بلغ من قبل، لأن فرعون[1] اللعين أدعى الربوبية، ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[2] واستعبد بنى إسرائيل فعظم الأمر وازداد الكفر، وأتسع الخرق، ونسى الحق، فلذلك قصرت مدة هذه الفترة، حتى بعث موسى – صلى الله عليه – مع تلك الآيات العظام، كالعصا، واليد البيضاء، ومجاوزة بنى إسرائيل البحر بعد أن أنفلق البحر ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[3] وتغريق فرعون اللعين، ومن تبعه إلى غير ذلك من الحجر الذى انفجرت منه العيون، وما كان ظهر قبل ذلك من الجراد والقمل والضفادع والدم، وغير ذلك مما يطول ذكره.

دان، نفتالى، جاد، أشير، يوسف، بنيامين. ومنهم تناسل أسباط بنى إسرائيل الاثنا عشر، فبنو إسرائيل هم اليهود من ذرية يعقوب (إسرائيل)، ولما انفصل الأسباط العشرة بمملكة مستقلة فى السامرة وعاصمتهم نابلس ملكوا عليهم رحبعام بن سليمان. (قاموس الكتاب المقدس ص ١٤١) وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم بلفظ يعقوب ١٦ مرة، وبلفظ إسرائيل مرتين.

١ – فرعون فى القرآن الكريم هى تعريب "برعا" المصرية القديمة، وهى اسم مزجى مركب من شقين: بر + عا والشق الأول يعنى البيت أو الدار، والشق الثانى "عا" صفة بمعنى الكِبَر أو العِظم، فهو البيت الكبير أو البيت العظيم. وتدخل "بر" فى تراكيب مزجية عديدة مثل: "بر + عنخ" أى بيت الحياة، يعنون دار الكتبة، وحين تأتى "برعا" المصرية القديمة على المزجية فهى تفقد معناها الأصلى كبيت كبير أو بيت عظيم، وتصبح كُنية يُكنى بها عن شخص الملك مهابة وتفخيماً، كما قال العثمانيون فى خليفتهم "الباب العالي". والثابت لدى علماء المصريات أن "برعا" لم تصبح اسماً دالاً بذاته على شخص الملك بحيث تستطيع أن تقول: جاء "برعا" وقال "برعا" إلا منذ عصر الأسرة التاسعة عشرة، عصر الرعامسة الذين كان منهم موسى. ومن إعجاز القرآن أنه يوم كانت اللغة المصرية القديمة، وكان التاريخ المصرى القديم طلاسم مطلسمة عند العالم أجمع، بل وعند المصريين أنفسهم، لم يعلم فقط معنى "برعا" فى اللغة المصرية القديمة، وإنما علم أيضاً منذ متى بدأ إطلاق هذه الكنية على ملوك مصر، فخص بها فرعون موسى وحده، أما حين يذكر ملوك مصر الذين سبقوا فرعون موسى – كما ترى فى حديثه عن الملك الذى استخلص "يوسف" لنفسه وجعله على خزائن الأرض – فهو يقول: "الملك" لا يخطئ مرة واحدة فيقول فرعون (رؤوف أبو سعدة: من إعجاز القرآن، ص ٣٣-٣٤).

٢ – النازعات: ٢٣

٣ – الشعراء: ٦٣

وأنزل عليه التوراة[1]، وبين فيها أحكام الحلال والحرام، وظهر أمره – صلى الله عليه – أتم الظهور. وإنما كانت أعلام موسى – صلى الله عليه – أكثر، وآياته أظهر، لأن بنى إسرائيل كانوا – والله أعلم – أجهل الأمم، وأغلظهم وأبعدهم عن الصواب، وأبلدهم عن استدراك الحق.ألا ترى أنهم بعدما جاوز الله تعالى بهم البحر. وغرق آل فرعون وهم ينظرون،قالوا: لموسى – حين مروا على قوم عاكفين على أصنام لهم – ﴿ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[2] واتخذوا العجل وعبدوه وظنوا أنه إلههم وآله موسى، وأنه نسى، فبحسب هذه الأحوال اقتضت الحكمة: إيضاح الآيات، والأعلام وتكثيرها لهم.

ثم بعث يشوع ويونس.

ثم بعث داوود – صلوات الله عليهم – وأنزل عليه الزبور[3].

وبعث سليمان – صلى الله عليه – وآتاه الملك، مع تلك الآيات العظيمة.

ثم بعث بعدهم زكريا ويحيى[4] – صلى الله عليهما.

---

١ – كلمة مستعربة أصلها العبرى تورا. بمعنى القانون والشريعة والقانون، وهى الكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام، وهو خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر الأحبار، وسفر العدد، وسفر التثنية. وقد وردت كلمة التوراة فى القرآن الكريم ١٨ مرة، وتطلق التوراة مجازاً على العهد القديم المشتمل على أسفار موسى الخمسة وعلى كتب الأنبياء التى ألحقت بالتوراة خلال تسعة قرون (القاموس الإسلامى ١: ٥٠٧).

٢ – الأعراف: ١٣٨

٣ – الزبور Zabur: هو الكتاب الذى نزل على نبى الله داود ويسمى فى التوراة " مزامير داود " ويحتوى على ١٥٠ مزموراً واشتق منها لفظة المزمار التى تصحب الاناشيد (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى، مجلد ٣، ص ٢٤) وكان داود ـ عليه السلام ـ حسن الصوت، جميل الإنشاد، إذا قرأ الزبور تكف الطير عن الطيران، وتقع على الأغصان، ترجع بترجيعه، وتسبح بتسبيحه

٤ – يحيى هو النبى الرسول يحيى بن زكريا عليهما السلام، وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل بعد أبيه وقبل المسيح عيسى عليهم السلام، وأمه اليصابات خالة مريم، رُزق لوالديه فى شيخوختهما، ويتصل نسبه من جهتهما بهارون بن عمران شقيق موسى عليهما السلام، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر، وقيل بثلاث سنين، وقيل بخمس، وهو الذى عمَّد عيسى فى نهر الأردن سنة ٣٠ م، ولذلك يسميه النصارى يوحنا المعمدان، قُتل قبل مقتل أبيه بقليل وقبل رفع المسيح عليهم السلام ؛ لأنه نهى الملك هيرودس عن الزواج بهيروديا ابنة أخيه، فأمرتها أمها أن تطلب مهراً رأس يحيى عليه السلام، فقتله وقدم رأسه لها على طبق (أنظر إنجيل متى ١٤: ١-١٢)، ورد اسم يحيى عليه السلام فى القرآن الكريم خمس مرات. (البداية والنهاية ٢: ٥٧، قاموس الكتاب المقدس ١١٠٦).

فكانت الفترة بين موسى وعيسى – صلى الله عليهما – نحو ألفى سنة، لعظم آيات موسى، وعظم الكتاب الذى أنزل معه، ولما بعث بينهما من الأنبياء، صلوات الله عليهم – وهذه المدة أطول المدد التى كانت من ذكرنا – عليهم السلام.

ثم لما تزايد الكفر، وتغيرت أحوال بنى إسرائيل، وشاع الإلحاد بالفلاسفة، وبعث الله تعالى عيسى – صلى الله عليه – وبقى فيهم ما بقى، وقد أكرمه الله تعالى ورفعه إليه، ثم كانت الفترة بينه وبين نبينا محمد – صلى الله عليه وعلى آله – نحو ستمائة عام.

فكانت هذه المدة أوسط المدد، وذلك – والله أعلم – لأن حجج الله تعالى كثرت فيها لبقاء التوراة، والزبور، ونزول الإنجيل[1]، ومع ذلك كثر الضلال، وقيل فى المسيح[2] – صلى الله عليه – قولان عظيمان، أحدهما ما قالت اليهود[3]، والثانى ما قالته النصارى.

ثم ابتعث الله عز وجل النبى محمدا – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وختم به

---

١ - معنى الإنجيل "إيفانجليوس" فى اليونانية، وهى كلمة مكونة من مقطعين: إيف، انجليوس. ومعنى "إيف" السرور، ومعنى "انجليوس" الخبر. فيكون المعنى: الخبر السار. والكلمة فى القبطية تنطق "ايفانجليون" ومعناها الخبر السار المفرح. يقول بطرس عبد الملك فى قاموس الكتاب المقدس: "إنجيل من اللفظ اليونانى انجليون ومعناه خبر طيب".

٢ - مشتقة من الكلمة العبرية "هاماشياه" وفى الآرامية "مشيحا" وفى اللغات التى لا تنطق الحاء تنطق "مسيا"..ومعناها فى الأصل: الممسوح بالدهن المقدس، ومعناها مجازاً: المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة، وكان معناها الحرفى: هو أن النبى يأخذ قنينة دهن مقدس ويمسح النبى الذى سيخلفه أو العالم أو الملك، فتصير ذاته مقدسة، ثم صارت كلمة المسيح تطلق على المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة ولو لم يمسح بدهن مقدس.

٣ - اليهود: اسم قبيلة، مأخوذ من الهود: أى التوبة، ومعنى هاد يهود هودا وتهود: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد، وفى سورة الأعراف يقول تعالى على لسان موسى عليه السلام: " إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ " (الأعراف: ١٥٦) أى تبنا ورجعنا، ويقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]" والمراد: يهودا، فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية. وقد ورد ذكر اليهود فى القرآن الكريم باسم (الذين هادوا) عشر مرات، وباسم (اليهود) ثمانى مرات، وباسم (هوداً) ثلاث مرات. (لسان العرب ٣: ٣٤٠، تفسير البيضاوى ص ١٤، قاموس الكتاب المقدس ١٠٨٥).

الرسالة، ونحن من مبعثه على نحو من أربع مائة عام، فخل ذلك على قرب الساعة، وأزف القيامة، وتحقيق ذلك قول الله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾[2] وقول النبى - صلى الله عليه -: " بعثت أنا والساعة كهاتين " وأشار بأصبعيه.

فانظروا رحمكم الله فى حسن نظر الله - عز وجل - لعباده، بما ذكرناه، واعتبروا به، واستعدوا للدوام، والبقاء، فلها خلقتم. فكأن الواقعة قد وقعت، والحاقة قد حقت، ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾[3] ولا يصدنكم عنها الشيطان[4]، وأتباع الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[5].

وفقنا الله وإياكم، لطاعته، واتباع مرضاته.

وأقدم أمام العرض، فصلاً أذكره من قبل علماء أهل البيت - عليهم السلام - وهو: أن الله تعالى لما بعث موسى - صلى الله عليه - بعثه بالآيات التى بهرت، ما كان هى ولوع الناس به فى ذلك الزمان من السحر والتمويهات، وأتاهم من العصى واليد البيضاء، وفلق البحر، ونحو ذلك، مما لا تبقى معه شبهة فى أن ذلك ليس من السحر فى شئ، إذ كان أولئك به أعرف، وبالفصل بين السحر وبين ما ليس سحر، أعلم، لعلمهم بمبلغ قوة السحر، وغاية أمره.

ولما بعث الله سبحانه المسيح - صلى الله عليه - آتاه من الآيات التى بهرت ما كان ولوع الناس به فى ذلك الزمان من الطب، فأيده - سبحانه - بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، لئلا تبقى شبهة لأحد منهم، لأنهم كانوا أعرف الناس بمبلغ قوة صناعة الطب، ومنتهى غايته، وما يكشف لهم من الأمر ما عساه كان لا ينكشف لغيرهم فى تلك المدة اليسيرة.

---

١ - الأنبياء: ١

٢ - القمر: ١

٣ - الشورى: ٧

٤ - أنظر: إبليس.

٥ - طه: ١٥-١٦

ولما بعث الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه فى قوم هم الغاية فى الفصاحة والبلاغة، والنهاية فى البيان، والسلاقة. إذ حظ العرب من ذلك أوفر الحظوظ، ولهم منه ما ليس لغيرهم من الأمم، فأيده سبحانه بالقرآن، وجعله معجزا له، لأنهم يعرفون من حاله، ما لا يعرف غيرهم، ولأنهم إذا عجزوا عن معارضته، لم تبق شبهة فى أن غيرهم أعجز، وأعجز، ومع ذلك لم يخله - عز وجل - من سائر المعجزات على ما نبينه من بعد. بل كثر ذلك، وتواتر، حتى لم يبق فى أمره شبهة لمنصف.

والحمد لله على نعمه السابغة، ومنحه البالغة.